يوميات أول سفارة برتغالية إلى المغرب على عهد السلطان مولاي سليمان

جوزي دي سانطو انطونيو مورا

تقديم وتعريب

ذ. عثمان المنصوري

لم يحظ موضوع العلاقات المغربية البرتغالية بما يكفي من الاهتمام لدى الباحثين في تاريخ المغرب المعاصر، لأن اهتمامهم انصب أكثر على الدول التي أصبح لها بعد القرن 19 موقع متميز ومؤثر في تاريخ المغرب مثل فرنسا وانجلترا وإسبانيا. ولاعتقاد أغلبهم بأن هذه العلاقات لم تكن من الأهمية بالدرجة التي تبرر مثل هذا الاهتمام.

وبغض النظر عن صحة أو خطإ هذا الاعتقاد، فإن الذي سيمكننا من تقدير مدى أهمية هذه العلاقات هو الشروع فعلا في دراسة الوثائق العديدة الموجودة في المكتبات المغربية والبرتغالية والمتعلقة بالعلاقات بين البلدين في الحقبة المعاصرة.

وفي هذا الإطار يسرني أن أقدم مساهمة متواضعة تتجلى في تقديم وترجمة إحدى الوثائق الغنية بالمعلومات المتعلقة بعهد السلطان مولاي سليمان، وبالعلاقات بين المغرب والبرتغال على عهده. ويتعلق الأمر باليوميات التي كتبها أحد أعضاء الوفد البرتغالي الذي أرسلته دولة البرتغال في سفارة إلى السلطان مولاي سليمان من يوم الجمعة 6 يناير 1797 تاريخ انطلاق الرحلة من لشبونة إلى غاية عودته إليها يوم 21 أبريل تاريخ رجوعه إلى نفس المدينة.

تقديم الوثيقة.

توجد هذه الوثيقة في مكتبة طوري دي طومبو بلشبونة، وهي ضمن مراسلات القنصل البرتغالي إلى وزير خارجيته الموجودة تحت رقم MNE CX 301 ، مراسلات سنة *1797*. وهي عبارة عن تقرير باللغة البرتغالية، صيغ على شكل يوميات، تتناول تفاصيل الرحلة المذكورة، وقد حرص كاتبها على إيراد الرسائل بنصها العربي مرفوقة بترجمة لها إلى البرتغالية، وكذلك الشأن بالنسبة لأسماء بعض المواقع.

وصاحب هذه المذكرات هو الراهب جوزي دي سانطو أنطنيو مورا[1] الذي كان مكلفا من قبل دولته ليقوم بدور المترجم الرسمي للسفارة. وقد تم الاختيار عليه نظرا لمعرفته باللغة العربية، ولدرايته بأحوال المغرب الذي يظهر من المذكرات نفسها أنه سبق له أن قضى به بعض الوقت، وله به العديد من المعارف والأصدقاء[2].

وقد أوكلت رئاسة هذه السفارة إلى القنصل البرتغالي بالمغرب جورج بدرو كولاصو[3] ويتضح من اليوميات أن الهدف من هذه السفارة هو تهنئة السلطان المغربي وتقديم الهدية البرتغالية له، وكذلك السعي لديه للحصول على بعض الامتيازات التجارية، خصوصا وأن دولة البرتغال في هذه الآونة كانت تعاني من نقص في المواد الغذائية والدواب بسبب انشغالاتها العسكرية.

ملاحظات واستنتاجات.

هناك عدد من المواضيع التي تتناولها هذه اليوميات مباشرة أو بشكل عرضي، كما أن قراءتها تسمح لنا بالخروج بالكثير من الاستنتاجات والملاحظات، وسنحاول التطرق إلى أهمها حسب النقط التالية :

1) تبادل الهدايا والسفارات : يمكن أن نعتبر أن الهدية السلطانية هي المهمة الرئيسية لهذه السفارة، التي هي أول سفارة ـ حسب علمنا ـ من البرتغال إلى السلطان مولاي سليمان. وقد جرت العادة أن تبعث دولة البرتغال وفدا للتهنئة مرفوقا بهدية عظيمة عند تولية السلاطين المغاربة أو بمناسبة التفاوض من أجل إبرام اتفاقيات خاصة مع المغرب أو تعديلها[4].

وموضوع الهدية يحتاج بمفرده إلى بحث مستقل، نظرا لما يطرحه من تساؤلات متعلقة بأهمية الهدية والدور الذي تلعبه في العلاقات بين الدول الأوربية والمغرب. والمعروف تاريخيا أن تبادل الهدايا لم يكن مقتصرا على هذه

الفترة فقط، بل إن السلاطين المغاربة تلقوا هدايا كثيرة وفي مناسبات متعددة في عهد مختلف الدول التي حكمت المغرب، وعلى سبيل المثال يمكن الإشارة بسرعة إلى الهدية البرتغالية التي وصلت إلى المغرب في أعقاب معركة وادي المخازن، التي يمكن اعتبارها أول هدية رسمية برتغالية إلى المغرب[5].

وللهدية دلالتها، فهي إما تعبر عن الصداقة القائمة بين دولتين، وإما تكون وسيلة لاكتساب هذه الصداقة أو تدعيمها، ولذلك نجدها في أغلب الأحيان مصحوبة بمطالب أو مدعمة لمفاوضات، تنتج عنها اتفاقات لصالح الدولة التي قدمتها.

ومن خلال الأرشيف البرتغالي نجد أن هذه الهدية تقدم على الأقل في ثلاث مناسبات :

1) مناسبة تولية السلاطين الجدد.

2) مناسبة زيارة السلطان لطنجة.

3) الأعياد الدينية الكبرى (الأضحى والفطر والمولد).

بدون أن ننسى الهدايا التي يتلقاها أعضاء الوفود والأمراء عند زيارتهم للبلدين، أو بمناسبة إجراء المفاوضات وعقد الاتفاقيات.

وعلى قدر حجم وقيمة الهدية، تتحدد أهمية العلاقات بين البلدين، لأن الهدية الثمينة ذات القيمة المرتفعة، تدل على اعتناء الدولة التي قدمتها، ورغبتها الأكيدة في تمتين العلاقات، والعكس بالعكس. كما أنها تفتح الطريق للحصول على امتيازات من خلال المفاوضات التي تصاحب الهدية عادة.

من هذا المنطلق يمكننا أن نتسائل عن الهدية البرتغالية التي تتكلم عنها اليوميات، وعن أهميتها وعن الدور الذي لعبته بالنسبة للعلاقات بين البلدين.

رغم أن الهدية هي الموضوع الرئيسي للسفارة البرتغالية فإن اليوميات لا تتكلم عن مضمون ومحتوى الهدية، ولا تفصل في مقادير ونوعيات الأشياء المهدية، [ما عدا هدية الوزير ابن عثمان] وكل ما نعلمه عنها هو أن عدد البغال التي تحملها هو 50 بغلة. ولا ندري هل هذا العدد خاص فقط بهدايا السلطان أم أنه يشمل أيضا هدايا الأمراء والوزراء ورجال المخزن. لكن من حسن حظنا أننا عثرنا على تقرير آخر لنفس الراهب صاحب اليوميات[6] يفصل فيه بدقة نوع الهدايا ومقاديرها، ومنه يتبين لنا ما يلي :

عدد الصناديق المكونة للهدية.
يفصلها التقرير كما يلي :

السلطان	55 صندوقا
مولاي عبد السلام	15 صندوقا
مولاي الطيب	15 صندوقا
مولاي عبد المالك	3 صناديق
باشا طنجة	4 صناديق

وبذلك يكون مجموع الصناديق 92، بدون حساب هدية الوزير ابن عثمان، والهدايا الأخرى التي وزعها القنصل عند وصوله إلى فاس، مما يوصل عدد الصناديق إلى ما يناهز المائة. وعلى هذا الأساس فإن عدد خمسين بغلة الذي تذكره اليوميات، يجد تبريره إذا اعتبرنا أن كل بغلة تحمل صندوقين، أو أنها تحمل صناديق السلطان فقط.

محتوى الهدية.

فيما يخص محتوى هذه الصناديق، فإن التقرير المذكور يفصلها كما يتبين من الجدول التالي :

لائحة تفصيلية بالهدايا المقدمة إلى السلطان مولاي سليمان

رقم الصندوق	المحتوى
1	8 قطع من ثوب «نوبريسا» (Nobresa)، عريض المنكب، لون الورد، مزركش الألوان، طولها 181 ذراعا. 7 قطع من لون اللؤلؤة، طولها 152 ذراعا. قطعة واحدة من شريط مذهب، طولها 20 ذراعا ونصف. 48 أونصة من خيوط الذهب، و24 من خيوط الفضة.

2	9 قطع من ثوب «الكوركورة» من ألوان مختلفة، طولها 223 ذراعا. قطعة من الدمشقي الأبيض والمذهب، طولها 26 ذراعا.
3	قطعة من الدمشقي قرمزية بطول 52 ذراعا. قطعة من نوع «الكوركورة» خضراء مزركشة، طولها 30 ذراعا ونصف. قطعة «نوبريسا» بيضاء طولها 50 ذراعا وربع. 1 من الساتان لون الورد، طوله 24 ذراعا وربع. 1 أخرى بطول 34 ذراعا. 1 «كوركورة» قرمزية طولها 25 ذراعا. 1 نوبريسا «زرقاء» طولها 25 ذراعا. 1 أخرى بلون الورد طولها 25 ذراعا. 1 ثوب دمشقي مذهب، بطول 25 ذراعا. 2 قطعتان من أشرطة الفضة.
4	1 قطعة من الدمشقي بطول 62 ذراعا. 5 قطع من «الكوركورة» بطول 173 ذراعا. 3 قطع من «النوبريسا» بطول 82 ذراعا. 3 أخرى بنفس الطول. 1 قطعة من الساتان بطول 25 ذراعا. 2 من شرائط الذهب.
5	1 قطعة من «الكوركورة» ليمونية مزركشة، بطول 28 ذراعا. 1 من «النوبريسا» 50 ذراعا. 5 قطع من الساتان، بطول 183 ذراعا. 14 قطعة من ثوب «الكمبراية». 4 من ثوب الموسلين.
6	15 قطعة من النوبريسا» عريضة بطول 300 ذراعا. 1 قطعة من الساتان، لون اللؤلؤ والذهب، بطول 25 ذراعا. 1 قطعة من الساتان بيضاء، بطول 25 ذراعا. 3 قطع من ثوب مخملي مخطط بطول 95 ذراعا.
7	15 قعطة ثوب من نوعيات مختلفة.
8	30 قطعة من أثواب مذهبة ومخططة.

9	2 قطعتان من ثوب رهيف يدعى (Sangibes) . 4 قطع من نوع «نانسوك». 16 قطعة مذهبة. 2 قطعتان من ثوب رهيف.
10	4 قطع من ثوب انجليزي رهيف من ألوان مختلفة طولها 96 ذراعا.
11	4 قطع أخرى رهيفة جدا، بطول 86 ذراعا.
13 - 12	32 قطعة من أثواب إيرلندية.
14	4 من الأواني، و4 من أواني السكر، و48 من الملاعق الفضية، وآنية للشاي «براد».
15	30 قطعة من ثوب (Bretanhas) .
17 - 16	80 رطلا من الشاي من نوع (Perola) في 160 زجاجة.
19 - 18	80 رطلا من الشاي من نوع (Hysson) في 160 زجاجة.
21 - 20	256 رطلا من الشوكولاطة.
24 - 23 - 22	24 قارورة من الكريسطال، ثم 12 من الأواني للعصير.
26 - 25	فواكه جافة.
28 - 27	قوارير وجرار من الخزف والفخار.
30 - 29	60 قالبا من السكر.
33 - 32 - 31	15 جرة من الصنع الياباني بسدادات من الفضة.
34	7 أطباق يابانية، و4 دزينات من الأواني لشرب العصير. وجهاز كامل من الأواني لشرب الشاي.
من 35 إلى55	60 مجموعة من الأواني الخزفية الثمينة.

وقد فصلنا في استعراض محتويات الهدية السلطانية، نظرا لأهميتها من جهة، ولأن المصادر المغربية قلما تسعفنا بهذا النوع من التفصيلات. أما بالنسبة

لباقي الهدايا، فهي تتضمن نفس الأنواع، وخاصة الأثواب والأواني الثمينة، والسكر والقهوة والشاي والشوكولاطة والفواكه الجافة : إلا أن المقادير تقل كما وكيفا حسب مكانة الشخص المقصود بالهدية كما يتجلى من عدد الصناديق أعلاه.

ومن خلال استعراضنا لحجم ونوع الهدايا البرتغالية، تتضح لنا أهميتها، وبالتالي رغبة البرتغال في الحصول على نتائج إيجابية من هذه السفارة[7].

ويمكن أن نتبين أهمية الهدية أيضا من الصدى الطيب والاستحسان الذي لقيته من المهدى إليهم، فالأمير مولاي الطيب بادر بمجرد وصول الهدية إلى مراسلة القنصل، مبديا رضاه عنها، وتقديره للقنصل البرتغالي ولدولته، واستعداده لتذليل كل العقبات من أجل حصول البرتغال على ما تأمله من المفاوضات.

وبالنسبة للمطالب البرتغالية، فيمكن إجمالها في رغبة البرتغال في الحصول على بعض الامتيازات المتعلقة بالتبادل التجاري، ومن بينها تخصيص مرسى العرائش لوسق الحبوب إلى البرتغال، والترخيص لهم بالوسق أيضا من مرسى أسفي وتيط، والعناية بالرعايا البرتغاليين، والحرص على سلامتهم، وتزويد السفن الحربية البرتغالية بحاجياتها الغذائية «الفريشك»، والسماح بوسق الحبوب والبغال والأبقار، مقابل «صاكة» خفيفة، إضافة إلى حل مشكل سابق متعلق بأحد المراكب التي أسرتها البحرية المغربية.

وقد استجاب السلطان لأغلب هذه المطالب كما يتبين من اليوميات، لكنه أراد أن يستثمر هذا التقارب مع البرتغال ليحصل على البارود، وقد تحفظ القنصل في البداية ثم قرر فيما بعد السعي للحصول على هذا الطلب.

إن أهمية الهدية لا تشرح وحدها استجابة السلطان لجل المطالب البرتغالية، ولذلك لابد من البحث أيضا في الظروف التي كان البلدان يعيشانها، فالمولى سليمان كان في بداية عهده، وأمامه عدد من المناطق التي لم تخضع تماما لسلطانه، وتشير اليوميات مثلا إلى ثورة عبد المالك، التي تزامنت مع زيارة الوفد البرتغالي وإلى منع الاتجار مع أسفي وتيط لوقوعهما تحت نفوذ الثائرين على السلطان. أما البرتغال فكانت في هذه الأثناء في حالة حرب مع فرنسا، وقد بدأت هذه الحرب منذ سنة 1793، وزادت من حاجة البرتغال إلى الحبوب والبغال، والمواد الغذائية.

وبسبب هذه الحاجة المشتركة من كل طرف للآخر، فإن تقاربا حدث بين الدولتين، كان من نتائجه أن البرتغاليين تمكنوا من وسق كميات كبيرة من الحبوب والبغال والمواشي، كما أن المخزن المغربي توصل بحاجياته من البارود رغم احتياج البرتغال إليه بسبب ظروف الحرب[8].

2) المراسيم المتبعة في تبليغ الهدية : تطلعنا اليوميات على عدد من التفاصيل المتعلقة بتركيبة الوفد المرافق للسفارة والإجراءات البروتوكولية التي تتم بهذه المناسبة، ونستطيع بناء على ما جاء فيها أن نقول إن الإجراءات كانت تتم كما يلي :

عند وصول السفينة يخصص لها استقبال رسمي بحضور قناصل الدول الأخرى وباشا المدينة. وبعد أن يستقر الوفد لدى قنصل بلده، وتوضع الهدية في المخازن، يبعث الباشا والقنصل، كل من جهته، برسائل إلى السلطان والوزير الأول، والمعنيين من أمراء وغيرهم، لإخبارهم بوصوله، ويطلب الإذن له بإيصال الهدية. ولا يمكنه أن يتحرك إلا بعد وصول الإذن من السلطان الذي يحدد له تاريخ الانطلاق بالهدية والمكان الذي تتجه إليه، والمرافقين له من الموظفين والجنود.

وبالنسبة لهذه السفارة البرتغالية، فبعد وصول الإذن، تم تعيين الجنود المكلفين بالحراسة (10 من الفرسان)، وعدد البهائم (50 بغلة) اللازمة لنقل الهدية، وحدد السلطان مبلغا من المال للإنفاق على الوفد في الطريق. أما الانطلاقة فقد تحددت من مكان معين بظاهر المدينة، وشيعها الباشا والقناصل إلى أن غادرتها.

عند وصول الوفد إلى ضواحي فاس وجد في استقباله حاجب السلطان وأخ الوزير الأول وبعض الجنود الذين رافقوه إلى مقر إقامته، وأعلموا السلطان والوزير الأول بحضوره. وفي اليوم الموالي تم إخبار الوفد بالاستعداد لملاقاة السلطان وتقديم الهدية في نهار الغد.

وقد كان الاستقبال في جو احتفالي، يصفه صاحب المذكرات بدقة، حيث استقبلهم السلطان في ساحة المشور بعد صلاة الجمعة، راكبا على فرسه وبمعيته كبار الأمراء والجنود وموظفي المخزن، في نظام وترتيب حسب المراكز والأهمية، وفي هذا اللقاء العام لم تناقش تفاصيل المطالب البرتغالية، وإنما طلب القنصل لقاء خاصا بالسلطان لتوضيح هذه المطالب، وسلم له محفظتين تتضمنان مفاتيح الصناديق المكونة للهدية، ولائحة بمحتوياتها.

وقبل هذا اللقاء الخاص تم الاجتماع بالوزير الأول للتمهيد له، ومناقشة المطالب البرتغالية. ثم بعد ذلك تصف المذكرات بروتوكول اللقاء الثاني مع السلطان، وما راج في هذا الاجتماع، الذي قدم فيه القنصل خاتما ثمينا للسلطان كان ضمن الهدية ولكن القنصل أرجأ تقديمه لهذه المناسبة ـ ولعله كان يؤمل أن يكون لذلك وقع خاص مساعد للحصول على المطالب ـ وتبادل الجانبان بعد ذلك عبارات المودة والتقدير.

بعد هذا الاستقبال، كان هناك لقاء أخير مع الوزير ابن عثمان الذي أكد للقنصل أنه لا يمكنه الحصول على أكثر مما حصل عليه، واستأذن هذا في العودة إلى طنجة، وبدأت رحلة العودة. وقد أهدى السلطان للقنصل جوادا وحمولة من التمر، كما أهدى بغلة للمترجم. ودام مقام الوفد في ضيافة السلطان بفاس أسبوعين كاملين.

3) المواصلات : تساعد اليوميات في التعرف بعض الشيء على ظروف المواصلات في المغرب لهذا العهد، فالوفد الرسمي البرتغالي سلك طريقا معينة من طنجة إلى فاس، نستطيع أن نتتبعها إنطلاقا من الوصف الذي قدمه صاحب المذكرات، مع المدة الزمنية التي يستغرقها الانطلاق من نقطة إلى أخرى. وقد استغرقت الرحلة في الذهاب عشرة أيام كاملة، وكذلك الحال عند الإياب. تضاف إليها مدة الإقامة بفاس وهي 15 يوما، لتكون المدة الإجمالية التي استغرقتها الرحلة إلى فاس 35 يوما. ويجب أن نضع في الاعتبار أن الوفد الرسمي يتوفر على إمكانيات لا تتوفر للمسافرين العاديين من تجار وغيرهم، مثل الدواب لنقل الأحمال والأمتعة، والجنود للحراسة، والخيام والزاد، ومع ذلك فقد تعرض للسرقة عدة مرات. وقد كان عبور الأنهار يأخذ وقتا يتراوح ما بين ساعتين ونصف وأربع ساعات، حسب وسائل العبور المتوفرة، وحالة الأنهار. ومن خلال هذه المعطيات نستنتج بالأساس أن المواصلات لم تكن قادرة على تسهيل عمل التجار ولا المخزن بالنظر لطول المدة التي يستغرقها الانتقال من طنجة إلى فاس، في طريق يفترض أنها رئيسية، وسهلة. ويمكن لنا أن نتصور حالة الطرق الأخرى، وظروف السفر فيها، بالنسبة للمسافرين العاديين، وانعكاسات هذه الوضعية على الأمن والتبادل الداخلي. لأن انتقال التجار والجنود يكون مشابها للظروف التي سافر فيها الوفد البرتغالي، وتزداد الأمور صعوبة حينما تزداد أحوال الجو سوء بسبب الأمطار والأوحال وامتلاء الأنهار.

لقد استغرقت السفارة البرتغالية منذ انطلاقها من لشبونة إلى عودتها لنفس المدينة أزيد من ثلاثة أشهر، وهي مدة طويلة نسبيا، وكان للمواصلات دور واضح في هذا الطول.

4) مواضيع أخرى : توحي قراءة هذه المذكرات بالعديد من التساؤلات الأخرى، من بينها : التساؤل حول تركيبة الوفد البرتغالي. وإذا كانت لا تتحدث سوى عن القنصل والمترجم، فإننا نجد في أحد التقارير[9] توضيحا لهذه النقطة، حيث يذكر أن وفد سنة 1798 كان يضم إلى جانب القنصل والمترجم كاهنا، وضابطا وعددا من موسيقيي القصر الملكي البرتغالي[10]. ومتعهدا للخيام، وطباخا، ومقتصدا مكلفا بلوازم المشروبات والحفاظ على الأثاث، بالإضافة إلى المساعدين من يهود ومسلمين، وخدم القنصل والكاتب.

وقد خصص لهم الملك البرتغالي مبلغا يوميا : 400 ريال للقنصل، و200 ريال لكل واحد من الباقين وجرت العادة أن يحمل الوفد معه حاجته من لحم الخنزير، والسكر والقهوة والشاي والشوكولاطة، والباقي يقدمه له المغاربة.

ومن المسائل المثيرة للاهتمام، وجود راهب برتغالي يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة، وفي اليوميات إشارة إلى وجود راهب آخر جاء لتعلم اللغة العربية. مما يدل على اهتمام البرتغاليين بتعلم اللغة العربية، وهو اهتمام قديم نجده في القرن 16 لدى الراهب دي كونتريراس بفاس، ولدى نيقولا كلينارد[11]، وسيتواصل خلال القرن التاسع عشر، بزيارة مستشرق آخر هو دي باربوزا[12].

ولاشك لدي أن القارئ بدوره سيطرح تساؤلات أخرى، ويستنتج استنتاجات مكملة لما قدمناه، وهذا هو الهدف الأساسي من تقديم هذا النص.

نص اليوميات

يوميات الرحلة التي قمت بها أنا جوزي دي سانطو أنطونيو مورا بأمر من صاحبة الجلالة[1] في هذه السنة 1797 من لشبونة إلى طنجة، مرفوقا بالهدية التي أرسلتها نفس السيدة إلى سلطان المغرب وإلى الأمراء إخوته[2]، بصفتي مترجما للقنصل البرتغالي جورج بدرو كلاصو لخدمته، وخدمة بلاطنا،

وما وقع في الرحلة التي قمنا بها من هناك إلى فاس حيث يوجد السلطان الحالي مولاي سليمان.

الجمعة *6* **يناير** : على الساعة التاسعة صباحا، ركبت في فرقاطة[3] جلالة الملكة المسماة (Aulisses) وقبطانها لويش دا موطا فيو[4].

السبت *7* **يناير**: بسبب عدم توفر الرياح المساعدة لم تقلع الفرقاطة.

الأحد *8* **يناير**: على الساعة السابعة صباحا، خرجنا عن طريق الرصيف الخارجي وبدأنا سفرنا الميمون إلى طنجة.

الأربعاء *11* **يناير** : من الثانية إلى الثالثة ظهرا، رست الفرقاطة بمرسى طنجة، ورغم سوء الأحوال الجوية، نزلت بسرعة إلى البر مع الوفد الرسمي، حاملا معي الرسائل من وزارتنا إلى قنصل جلالة الملك جورج بدرو كولاصو وسلمتها له فورا.

الخميس *12* **يناير** : وصل في الصباح الباكر إلى البر رجل دين، أحضره معه الراهب مانويل دا سيلڤا ربيلو[5] لكي يتعمق في دراسة اللغة العربية. واستقر بمنزل القنصل الذي استضافه بدون تردد. وفي نفس الصباح كان لي شرف تلقي زيارات معارفي الأقدم هنا، قناصل اسبانيا والبندقية والسويد وهولاندا.

الجمعة *13* **يناير** : أنزلت الهدايا من المركب، ووجهت إلى أحد مخازن القنصل.

السبت *14* **يناير**: بأمر من قنصل جلالة الملكة كتبت الرسائل الآتية :

* نسخة الرسالة المكتوبة إلى السلطان سليمان[6].

باسم الله الرحمان الرحيم.

نعرض على عالي مقام سيدنا أنها وصلت لهذه المرسى سفينة برطقيزية من اجبونة بهدية وكتاب كرطينا[7] لسيدنا وقد كتب لي الوزير كتابا يأمرني بأمر البرنسيبي[8] مولاي بالتوجيه لحضرة سيدنا العالية مع الهدية والكتاب لسيدنا وهذا ما وجب على الإعلام به لسيدنا طالبا من فضله الكريم أن يأمرني بالتوجيه لحضرته الشريفة ومعي كاتب هذا الكتاب وهو الفرايلي[9] الوارد

علي بأمر الكرطي ليتوجه معي ترجمان لحضرة سيدنا وربنا يبارك لنا في عمر سيدنا آمين والسلام. كتب في 14 رجب عام 1211.

* نسخة الرسالة المكتوبة إلى مولاي الطيب أخ السلطان :

الاعلام به لسيدنا أنها وردت على هذه المرسى سفينة برطقيزية من أجبونة بهدية وكتاب لسيدنا وفي صحبتها هدية وكتاب إليكم وقد أمرني الوزير بأمر البرنسيبي أن نتوجه مع الهدية لحضرة سيدنا بعد التلقاء معكم لتقفوا معنا فيما نريده من سيدنا المنصور ظاهرا من البرنسيبي أنكم أعزكم الله هنا لاكن حيث أنتم بالعرايش ووصلنا الخبر أنكم خارجين منها ويخفى علينا الموضع الذي تمشون إليه وجب علينا الكتب إليكم ونعلمكم بأننا قد كتبنا لسيدنا وأعلمناه بما نعلمكم به طالبون منه الأمر بالتوجيه لحضرته العالية فلأجله نطلب من فضلكم أن تعلمونا بالموضع الذي نلاقيكم فيه لأننا نريد النظر لوجهكم الكريم وإن كنتم في العرايش أو مع سيدنا فذاك وإلا يصعب علينا التوجيه إليكم لأن أمر أخيكم المنصور هو الأول كما لا يغيب عن عزيز مقامكم وإن لم تكونوا في أحد من المواضع المذكورة نطلب من فضلكم أن تعلمونا بالعمل مع الهدية والكتاب إليكم إما أن نبعثها إليكم إما نتركها هنا وربنا ينعم علينا بطول عمركم. آمين والسلام.

انتهى في 14 من شهر رجب عام 1211.

* نسخة الرسالة المكتوبة إلى مولاي عبد السلام أخ السلطان :

وبعد فليعلم سيدنا أنها وصلت لهنا سفينة برطقيزية من أجبونة بهدية كتاب البرينسبي لسيدنا المنصور وفي صحبتها هدية وكتاب إليكم ووصلني أيضا كتاب الوزير يأمرني بأمر البرينسبي أن نتوجه لحضرة سيدنا العالية مع تلك الهدية وقد كتبت لسيدنا نعلمه بما نعلمك به طالبا منه الأمر بالتوجيه إلى حضرته العالية وها إن أمرني سيدنا بالتوجيه لفاس أو مكناس فإني نصحب معي هديتكم والكتاب إليكم وألا نطلب من فضلكم أن تعلموني

بالعمل مع هديتكم إما أن نبعثها إليكم إما أن نتركها هنا إلى أن تبعث أحد من أصحابكم ليتوجه بها لحضرتكم والسلام كتب في *14* رجب عام *1211*.

* نسخة الرسالة المكتوبة إلى ابن عثمان وزير السلطان الأول :

الأرضى المرتضى والأعز ما لدينا الفقيه الأجل السيد محمد بن عثمان كاتب أعظم أوامر سيدنا الشريفة. بعد السلام عليكم نعرض على سيادتكم الكريمة أننا كتبنا لسيدنا المنصور كتابا نعلمه بوصول سفينة برطقيزية من أجبونة بهدية وكتاب لسيدنا وقد أمرني الوزير بأمر البرينسبي مولاي أن نتوجه بها إلى حضرة سيدنا ومعي الفرايلي كاتب هذا الكتاب القادم علينا وقد طلبنا منه أيده الله ذلك فلأجله نطلب من فضلكم أن تقفوا معنا في هذا الغرض عند سيدنا إلى أن يبعث لنا أمره الشريف بالتوجيه لحضرته العالية بالله وأما كاتب هذا الكتاب يسلم عليكم كثير السلام ويطلب الله دوام عافيتكم ونحن أن تعرض لكم غرض هنا أو في بلادنا اعلمونا به نقضيه لكم والسلام. كتب في *14* رجب عام *1211*. عن إذن قونصو البرطقيز جرج كلاص.

الأحد *22* **يناير**: بما أن الأمير مولاي الطيب كان قد خرج من العرائش إلى الرباط على رأس مجموعة من الجنود، عندما وصلت رسالتنا إلى هناك، لذلك لم نتوصل بجوابه إلا اليوم. وهذا جوابه :

باسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إلى خديم جانبنا الأعز بالله قونصو البرطقيز بطنجة المحروسة أما بعد فكتابك ورد على شريف مقامنا تعرفنا فيه بوصول المركب الذي فيه هدية مولانا المنصور بالله أعز الله جانبه وكتاب البرينسبي إليه كما تعرفنا أيضا أنه وصل في المركب المذكور صحبة ما ذكرنا من هدية مولانا وأخينا وكتاب البرنسبي إليه هدية جانبنا الأسمى كتاب البرينسبي إلينا في الوقوف مع هديتكم والمشاورة عليها عن سيدنا وأخينا فقد تعرفنا كل ذلك

وانتهى خبره لكريم علمنا والذي يكون عليه عملكم ونأمركم به أن تتركوا تلك الهدية على ما هي عليه تحت أيديكم حتى نتلاقى بمولانا وسيدنا السلطان نصره الله ونعرفه بأمر وصولها ونشاوره على المحل الذي تلحقه فيه ونكتب لكم بشريف أمره ونبين المحل الذي تأتي الهدية إليه فإذ ذاك تقدمون بها على يقين وبصيرة وإذا وصلكم الأمر بالقدوم على مولانا فادفعوا هدية جانبنا المحفوظ لكاتبنا السيد محمد هناك واتركوها بذمته واصحبوا معكم كتاب البرينسبي إلينا وعلى ما رسمنا لكم العمل وبتاريخ العشرين من رجب الفرد الحرام من عام *1211* ومنه أيضا أننا نقف معكم بحول الله عند مولانا في جميع أغراضكم وما تطلبونه حتى يتم ذلك على ما تحبون وتريدون إن شاء الله وبه تم في التاريخ المذكور.

الاثنين *6* **فبراير**: اليوم، وصل البريد حاملا الأجوبة على الرسائل التي كتبت يوم *14* يناير إلى السلطان والأمير مولاي عبد السلام وابن عثمان الوزير الأول. وقد تأخر الرد كل هذه المدة لأن الرسائل حين وصلت إلى العاصمة مكناس كان السلطان قد غادرها على رأس جيشه في اتجاه مدينة سلا، وبما أنه كان يتعين أيضا إيصال رسالة الأمير عبد السلام في فاس حيث إقامته، فقد توجه البريد إلى هناك، ثم عاد مواصلا طريقه إلى أن لحق بالسلطان بالقرب من سلا، وعاد بمجرد ما بلغ الرسائل وتلقى الأجوبة التي كانت طيبة. واحدة منها إلى حاكم هذه المدينة لتقديم كل ما هو ضروري لمرافقة الهدية والجنود لحراستنا كما يرى في الرسالة. وعاد إلى فاس لتلقي جواب الأمير مولاي عبد السلام الذي زيادة على إعطائه الجواب كلف بعض خدمه بجلب هديته لاعتقاده بأننا لا يمكننا المرور بفاس أثناء نقلنا لهدية السلطان.

* نسخة جواب السلطان على رسالتنا :

باسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إلى قونصو البرطقيز بطنجة، أما بعد، ورد علينا كتابك تخبرنا فيه بورود الأمر عليك من دولتك بالقدوم على حضرتنا العلية بالله أنت والفرايلي والهدية وتستأذننا في القدوم فنأمرك

أن تقدم علينا كما طلبت وها نحن أمرنا وصيفنا السيد محمد السلاوي يقضي لك كل ما تحتاجه ويوجه معك الخيل والسلام.
في 24 رجب عام 1211.

* نسخة الرسالة المبعوثة إلى حاكم هذه المدينة :

الحمد لله وحده

وصيفنا السيد محمد السلاوي سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد، فنامرك أن توجه إلى حضرتنا العلية بالله قونصو البرطقيز والهدية التي أتته من سلطانه إلينا وأكثر له من البهايم ما يكفيه وأبعث معه عشرة من الخيل يرافقونه في الطريق ويحرسونه واعط كبير الخيل ما يصرف على القونصو المذكور في الطريق والله يعينك والسلام. في رابع وعشرين رجب عام 1211.

* نسخة جواب ابن عثمان :

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحبنا القونصو جرج كلاص البرطقيز أما بعد فقد وصلنا كتابك مع كتاب سيدنا نصره الله تطلب فيه الإذن في القدوم على حضرة سيدنا مع صاحبك الفرايلي والهدية الواردة عليك لسيدنا أيده الله من الكرطي واعلمنا سيدنا نصره الله بمرادك وها أنا بعثت لك الأمر بالقدوم ولقايد البلد ببعثك وتجهيزك وبعث الخيل معك وقد وقفت في كتابك على سلام الكاتب ففرحت كثيرا لكونه على خير وعافية وحامل الكتب بلغ إلينا المكاتب وقد بقي بيننا وبين الوصول إلى سلا أربع ساعة[10] والسلام. في 24 رجب عام 1221. محمد بن عثمان لطف الله به.

* نسخة من جواب الأمير مولاي عبد السلام :

الحمد لله وحده

صاحبنا ومحبنا النصراني جرج كلاص قونصو البرطقيز أما بعد، فقد بلغنا كتابك وفهمناه وما ذكرت على الهدية التي وردت من

الأجبونة ها نحن بعثنا إليك صاحبنا الحاج كروم ادفعها إليه يأتي إلينا بها والسيد محمد السلاوي يكتري إليه البهايم تحملها إلى هنا ونحن نخلص الكراء والسلطان نصره الله توجه بالسلامة والعافية لناحية رباط الفتح فتح الله عليه وظفره بمراده، آمين وأعانه على جمع كلمة المسلمين والسلام في أواخر رجب الفرد عام 1211.

عن إذن مولانا عبد السلام ابن أمير المومنين.

الخميس 9 فبراير : اليوم وكذلك في اليومين السابقين أطلقت المدفعية بهذه المدينة مرات متعددة احتفاء بالنصر الذي أحرزه سليمان ضد مولاي عبد المالك، الذي بايعته منطقة الشاوية. وأسعدنا أيضا وصول رسالة اليوم من الأمير مولاي الطيب ومعها أمر بالذهاب إلى مكناس. بمجرد تسلمنا لهذه الرسالة قررنا أن لا نسلم هدية مولاي عبد السلام إلى خادمه، وأن نأخذها معنا إلى مكناس وبذلك لا نضطر إلى تقديم هدية جديدة إليه عند التقائنا به في هذه المدينة، وبدون هذا التصرف لا يمكننا بأية حال تجنب تقديم هدية جديدة إليه، كما هي العادة عند هؤلاء الناس.

* نسخة من رسالة الأمير مولاي الطيب :

إلى خديمنا قونصو البرطقيز بطنجة المحروسة بالله أما بعد فمولانا وأخونا المنصور بالله أعز الله جانبه قد أمر بإتيان هديتكم إلى حضرته العليا بالله بمكناس فخذ بالجد والعزم في تهيية السفر بتلك الهدية مع من عينته دولتكم لمصاحبتها إلى المقام الأعز بالله.
وكاتبنا السيد محمد وفقه الله قد أمرناه بتسيير البغال لحمل هديتكم المذكورة وبالوقوف معكم في أمرها وتوجهها ففواضه [ففاوضه] في ذلك وادافع له هدية جانبنا المحفوظ مع كتاب دولتك إلينا إن لم تكن دفعتها قبل كما أمرناك وقدمنا لك وعلى ما رسمنا العمل والتمام بتاسع شعبان من عام 1211.

الاثنين 13 فبراير : سُلِّمت هدية ورسالة صاحب السمو الأمير سيدنا الموجهة لمولاي الطيب إلى حاكم هذه المدينة كما أمر في الرسالة السابقة، والتي

رد عليها القنصل بالشكل التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم،

نعرض على عالي مقام سيدنا أنه وصلنا كتاب سيدنا الشريف مع حامله خديم سيدنا القايد أحمد المتيوي يأمرنا فيه سيدنا بالتوجيه لحضرة سيدنا المنصور بالله بالجد والعزم فليعلم سيدنا أننا حيث وصلنا الخبر برجوع سيدنا للعرايش أردنا التوجيه عليها بقصد التلقاء مع سيدنا بها لندفع لسيدنا كتاب البرينسبي مولاي ونعلم سيدنا بمراده أعزه الله كالأمر الوارد علينا منه وبعد المفوضة مع سيدنا في أمره نتوجه إلى حضرة سيدنا المنصور لاكن حيث أمرنا سيدنا بالتوجيه لحضرة سيدنا أيده الله بالعزم نعم فإن العبد عند أمر سيده وما نطلب من فضل سيدنا إلا أن يكتب لأخيه المنصور بالمطلوب من عالي مقامه أن ينعم علينا بمراد برينسبنا وأما ما أمرنا سيدنا بأننا ندفع لكاتب سيدنا السيد محمد هدية جانبه فقد أمكناه منها وفي صحبة هذا يصل لسيدنا كتاب البرنيسي والزمام مما تحوي تلك الهدية نطلب الله أن تكون على خاطر سيدنا وربنا يبارك لنا في عمر سيدنا، آمين والسلام. في *15* شعبان عام *1211* .

عن إذن قونصو البرطقيز جرج كلاص.

السبت *18* **فبراير** : بمجرد أن توصل الأمير مولاي الطيب بهدية ورسالة صاحب السمو، وعرف مضمونها، وكذلك الكلام الطيب الجميل الذي صاغه القنصل في رسالته السابقة أرسل حالا جنديا فارسا بالرسالة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قونصو البرطقيز جرج كلاص، أما بعد، فقد وصلنا كتابك مع كتاب البرينسبي والهدية تقبلناها واستحسناها كثر الله خيركم وأما ما عرفتنا به من أن البرينسبي أمرك بالملاقة معنا قبل الوصول لمقام سيدنا وأخينا المنصور بالله لتنهي لكريم علمنا ما كلفكم به من الأمور التي في غرضه وتتفاوض معنا في ذلك

فبذلك كتب لنا البرينسبي في كتابه المبعوث على يديك وخبرنا بما أمركم به من القدوم على حضرة مولانا نصره الله بعد ملاقتنا السعيدة لنتعرف بجميع ما في مرادكم ونقف معكم في قضاء ذلك عند أخينا أيده الله وأعز أمره وعلى ذلك نامرك بالقدوم على شريف محلنا ومن عندنا تتوجهون لمقام سيدنا الأسمى ويكون جوازكم من هنا فإن الطريق واحدة وإن وصلك أمرنا هذا بالطريق أو بثغر طنجة لابد لك أن تقدم على مقامنا السعيد لتتكلم معنا في غرضكم وأموركم التي أتيتم بقصدها فحينيذ نكتب لك لأخينا وسيدنا المنصور بالله ونقف معكم في كل الأمور حتى يقضى غرضكم على أحسن حال وأكمله بحول الله فإنكم أولى بالوقوف عن غيركم وعلى هذا عملك إن شاء الله والسلام. في تاسع عشر شعبان المبارك عام 1211.

الاثنين 20 فبراير : أخيرا اليوم بعد الظهر أعدّتْ هدية السلطان وأخيه مولاي عبد السلام على متن خمسين بغلة، ومعها كل ما هو ضروري لهذه الرحلة الشاقة، انطلاقا من المحل المسمى المصلى، حيث أقيمت الخيام. وحالا وصل الجنود المعينون لمرافقتنا وكذلك القائد الذي طلبه القنصل ليكون على رأسهم، على الرغم من رغبة حاكم هذه المدينة تعيين نفس القائد لدى قنصل اسبانيا، الشيء الذي عملنا بقوة على أن لا يتم، وإضافة إلى ذلك فإن القنصل الذي كان مدركا لنوايا الحاكم، أجاب بأن القائد الذي طلبناه هو الذي سيرافقنا، وأننا لن نخرج مع أي قائد سواه، إلى حين التوصل بجواب السلطان الذي سبق أن كتب لنا عن نفس القائد، ولذلك لا حاجة إلى إرسال أي كان إلى المدينة لكتابة رسالة أخرى للسلطان في هذا الشأن. هذا الجواب الأكيد جعل الحاكم يوافق على القائد الذي طلبه القنصل.

الثلاثاء 21 فبراير : على الساعة السابعة والنصف صباحا خرجنا من طنجة مرفوقين بعدد من القناصل والأصدقاء. ووصلنا إلى محل المعسكر، حيث التقينا بحاكم هذه المدينة، وبمجرد ما انتهينا من توديعه بدأنا رحلتنا وسط جو جميل، وفي الساعة الثالثة ظهرا وصلنا إلى نهر يسمى الخُلج، وفيه تعرضت لخطر كبير عند عبوره، إلا أنه من حسن حظي أن القائد مُرْشِدَنا، ركب على

بغلة قوية وتمكن من إنقاذي، وفي الساعة الخامسة خيمنا بمحل يسمى أولاد السبطة، في قبيلة غربية.

الأربعاء 22 **فبراير** : من الساعة السادسة إلى السادسة والنصف جمعنا الخيام، وتابعنا الطريق في جو جميل عبر أراضي القبيلة الآنفة الذكر، ثم عبر أراضي قبيلة عمر طيرثة، وفي منتصف النهار نزلنا بجوار غابة، تعرف لدى الأوربيين بغابة العرائش، وفيها ارتحنا إلى الثانية ظهرا، وهو الوقت الذي ركبنا فيه، وقطعنا الغابة المذكورة في ساعتين، وبعدها وصلنا إلى مكان كبير يدعى الخميس، يوجد تحت نفس الغابة في الساعة الرابعة، وفيه خيمنا.

الخميس 23 **فبراير** : على الساعة السابعة واصلنا رحلتنا، وبعد مرور دقيقتين بدت لنا العرائش. وفي الساعة الثامنة والنصف وصلنا إلى نهر نفس المدينة، حيث وجدنا في انتظارنا نائب القنصل الانجليزي، والتاجر البرتغالي جوزي أنسلمو دي ماسيدو(11) وقد ركبت أنا والقنصل مع هذا الأخير على متن قارب كان في انتظارنا هناك، ونزلنا منه في الشاطئ، ومنه أخذنا إلى منزله، حيث ضايفنا ضيافة ممتازة، بينما بقي نائب القنصل الانجليزي مع كاتب القنصل بالجهة الأخرى من النهر، إلى أن تم نقل كل الأمتعة إلى هذه الجهة من النهر، الشيء الذي تم في الحادية عشر صباحا. وبعد الظهر استدعينا للمثول أمام الأمير مولاي الطيب، الذي سألنا، بعد أن قدمنا له التحية الواجبة، عن مطالب دولتنا. أجابه القنصل أنها تريد ميناء خاصا بالدولة البرتغالية، والحق الكامل في التجارة في كل الموانئ الأخرى مثل باقي الدول ؛ وقد أجابنا على ذلك بأنه كتب إلى أخيه حول نفس الموضوع على أساس أن القنصل تحدث له عنه بشكل عام بدون تسمية مينائي أسفي والجديدة، لمعرفته بأن الأمير المذكور من أشد المعارضين لهذه التجارة، ولذلك بدلا من أن يتعاون من أجل تلبية المطلب البرتغالي، ربما نصح أخاه بعدم الموافقة على مطالب من هذا النوع.

الجمعة 24 **فبراير** : بما أن الأمير تأخر قليلا بسبب أمره بكتابة الرسالة إلى السلطان، لم نتمكن من الخروج من العرائش إلا في الساعة الحادية عشرة صباحا، وهو الوقت الذي تابعنا فيه رحلتنا، وقد سرنا بضع ساعات خلال إحدى الغابات ثم خلال حقول جميلة، مسقية بعيون مائية كثيرة، وحديثة عهد بالحرث. وفي الساعة الرابعة والنصف خيمنا بالمحل المسمى الرياحين، بقبيلة بمنطقة الغرب.

السبت 25 **فبراير** : فجر هذا اليوم سرقت واحدة من النوق. التي بعثها الأمير مولاي الطيب إلى أخيه مولاي عبد السلام، لكن سكان هذا المحل سيدفعون حسابا عنها في يوم آخر. في الساعة السابعة صباحا تابعنا رحلتنا في جو جميل داخل المنطقة المذكورة، وفي منتصف النهار وصلنا إلى محل يسمى مفوَّر، تابع لقبيلة السفيان، حيث نزلنا لتناول ما تيسر من الطعام. وهناك وجدنا بعض الأسوار المهدمة، من مآثر الماضي، والتي يظهر من نوع بنائها أنها من إنجاز الرومان القدامى، الشيء الذي أكده أيضا سكان هذا المكان، قائلين أن أجدادهم يروون أن هذا المكان كان مأهولا في الماضي بساكنة مسيحية. وبمجرد ما انتهينا من الأكل، تابعنا طريقنا، وفي الساعة الرابعة بعد الظهر خيمنا في نفس المنطقة بقبيلة بني مالك، بمحل يسمى كوار الهْجْفَنَه، قريب من نهر يدعى واد الطين.

الأحد 26 **فبراير** : في فجر هذا اليوم سرقت فرسة في المحل السابق. وفي السابعة صباحا تابعنا سفرنا في جو جميل، وفي العاشرة والنصف وصلنا إلى سوق يسمى سوق الأحد، لأنه يعقد يوم الأحد، مجاور لجبل (Racurta) [12]. بمجرد ما وصلنا، فرغ السوق، وحالا وجدنا أنفسنا محاطين بالأعراب. وكل واحد منهم يطنب في الترحيب بنا حسب مشاعره وجهله. أنا أشير فقط إلى سؤال سألنيه واحد منهم، وهو كاف ليوضح جيدا قدرات هؤلاء الناس المتبربرين، وكان كالتالي : هل بالصدفة أصبحتم رجالا وأبناء لآدم ؟ وهو سؤال - في الواقع - أضحكنا كثيرا ؛ ومن بين هؤلاء التقينا ببعض معارف وأصدقاء القنصل الذين كانوا يحملون إليه هدايا كثيرة عندما يأتون إلى طنجة. وبعد مرور ما يناهز ساعتين ونصف، ركبنا وواصلنا الطريق إلى الخامسة بعد الظهر، عندما وصلنا إلى محل يقع على ضفة النهر المشهور الرضات، في قبيلة بني مالك، التابع لولي وزان الكبير، المحتال الأكثر توقيرا في كل هذه الامبراطورية، وهناك بتنا. وكل المرافقين لنا ارتاحوا لاختيار هذا المكان الذي يعتبرونه آمنا ويلتمسون فيه بركات هذا المتزمت الكبير، الذي رغم قداسته سرقوا له فرسة، هذا الحادث أثارجدلا كبيرا لدى مرافقينا ؛ وفي الأخير انتهوا إلى أن وليهم لن يترك جريمة كبيرة كهذه تمر بدون عقاب.

الاثنين 27 **فبراير** : ركبنا في السابعة صباحا، وتابعنا في جو جميل رحلتنا، وفي الحادية عشر نزلنا قرب عين تسمى عين القرواش، وهناك وجدنا

بعض البنايات المهدمة تماما، والتي يظهر من بنائها أنها جد قديمة، وعند سؤالنا لبعض سكان هذه البلاد عن مؤسس هذه البناءات، أجابونا بأنه يقال أنها كانت مسكنا لملك قديم كان يقيم بها. وتابعنا بعد ذلك رحلتنا، ووصلنا في الواحدة ظهرا إلى النهر المشهور ورغة، الذي يمثل حدا طبيعيا بين عدد من القبائل؛ وفي الخامسة عشية أتينا إلى الجبل المسمى جبل الكلخ، لدى القبيلة المسماة أولاد عيسى، ونصبنا خيامنا إزاء المحل المعروف باسم دوار القاضي، وبمجرد ما خيمنا بدأت الأمطار في التهاطل، وظلت كذلك طول الليل، الشيء الذي أفرح كثيرا كل هؤلاء الناس، لحاجتهم الشديدة إلى هذه الأمطار.

الثلاثاء *28* فبراير : يظهر أن اللصوص شرفونا بمرافقتنا منذ خروجنا من العرائش إلى هنا، وقد استمرت وقاحتهم أيضا هذا الفجر، لأن أحدهم حاول سرقة أحد الخيول الخاصة بالجنود المرافقين لنا، ولكنه لم يتمكن من ذلك، لأنهم أحسوا به؛ وقد كان سعيد الحظ لأن الجنود أطلقوا عليه النار من ثلاث عشرة بندقية، وواحد منهم كان في المؤخرة وأطلق عليه النار من مسدسه، لكنه لم يصبه على ما يظهر. في الثامنة صباحا تابعنا سفرنا في جو غائم قليلا؛ لكن بدون أمطار. وفي التاسعة مررنا بجوار مكان يعيش فيه أحد أبناء الامبراطور الراحل اليزيد. وبعد دقائق قليلة دخلنا إلى سوق يسمى سوق الثلاثة، حيث رأينا بعض آثار المساكن العتيقة، التي حسب أقوال سكان البلاد تعود إلى العهد الروماني. وفي الحادية عشرة صباحا عبرنا النهر الشهير سبو ومنه أرسلنا جنديا ليسبقنا ويخبر السلطان بوصولنا، وفي الخامسة عشية خيمنا بالمكان المسمى عين البقار، لدى قبيلة أولاد الجَمَع، عندما بدأت الأمطار في التهاطل، وقد استمرت كذلك طول الليل.

الأربعاء *1* مارس : على الساعة الثامنة صباحا تابعنا رحلتنا في جو جميل، وفي الواحدة ظهرا وجدنا في استقبالنا بضواحي فاس الحاج حمو بن حيون حاجب الامبراطور، مرفوقا ببعض الجنود لحراستنا وبأخ الوزير الأول، الذين بعد أن سلموا علينا، واحد باسم السلطان، والآخر باسم أخيه، قادونا وسط تلك المدينة إلى الحديقة العظيمة التي هي للقائد العربي الصفار، الحاكم الذي كان بفاس والصويرة، في حياة الامبراطور سيدي محمد، حيث أقمنا إقامة جيدة مع كل أعضاء وفدنا.

الخميس *2* مارس : قدم بعد الظهر أخ الوزير بن عثمان، ومعه أمر لنا

بالاستعداد، لأن الامبراطور قرر أن يخصنا بالمقابلة الأولى في اليوم الموالي في منتصف النهار.

الجمعة *3* **مارس :** بدأنا في إعداد الهدية على الساعة العاشرة صباحا على الشكل التالي : على كل بغلة وضعنا صندوقا، وكل واحدة يرافقها جندي، وبمجرد الانتهاء من هذا العمل، الذي تم في الحادية عشرة، ركبنا الجياد، وتوجهنا إلى فاس الجديد، مرفوقين بالحاجب المذكور، وبجنودنا، وغيرهم من الجنود، وفي منتصف النهار وصلنا إلى هناك. في الوقت الذي دخل فيه الامبراطور إلى المسجد، الذي يوجد على الجانب الأيسر عند الخروج من القصر. وقد أخذنا المكلف بتقديمنا إلى إحدى الساحات التي توجد أمام القصر. وقد أوقفنا في وسط تلك الساحة التي كانت محاطة بالفرق العسكرية. ثم خرج السلطان من المسجد في الواحدة والنصف، كان موضعي على الجانب الأيمن للقنصل ومعي محفظة الرسالة، وسكرتيره على جانبه الأيسر ومعه محفظة المفاتيح. بعد ذلك رأينا الامبراطور يخرج مع رجال دولته، على الشكل التالي : قدم أولا كل الأمراء، الذين انتظموا في صفين، وخرجوا من جهتي باب القصر. بعد ذلك تبعهم الخدم والحراس، ثم الامبراطور ممتطيا صهوة حصان جميل وعلى مقربة منا توقف الحصان على بعد نحو ثلاث خطوات. ووصل بعده مباشرة الوزير ابن عثمان، وتكلم معه، فأمره السلطان أن يقول لنا، بأنه يكن لسمو الأمير، وكل الشعب البرتغالي تقديرا كبيرا.، وأن دولة البرتغال ظلت دائما محل صداقته الأكيدة، وهو لذلك يقدرها أكثر من أي دولة أخرى. وقد أجاب القنصل على ذلك مقدما له الشكر باسم سمو الأمير وكل الشعب البرتغالي. وبعد أن قام الوزير المذكور بعرض جواب القنصل عليه، أمره أن يعبر للقنصل عن متمنياته الصادقة، وإرادته الحسنة في تلبية ما يرغب فيه سمو الأمير. وقد عاد القنصل للجواب على ذلك مقدما له من جديد تشكراته وطالبا منه أن يخصه بمقابلة خاصة يعرض عليه فيها كل مطالب حكومتنا، ولم يبق إلا تسليم الرسالة ومفاتيح الهدية، الشيء الذي تم فعلا، وعاد العاهل إلى داخل القصر، ونحن إلى محل إقامتنا. وبعد الظهر ذهبنا لتقديم هديتنا إلى الأمير مولاي عبد السلام الذي استقبلنا بمظاهر الفرح والشكر، معبرا عن استعداده لتقديم كل ما يخدم أو يرضي سمو الأمير والدولة البرتغالية.

السبت *4* **مارس :** انشغلنا كل اليوم في إعطاء الهدايا، وتوزيع

النقود، حسب المعتاد من طرف خدم الامبراطور.

الأحد 5 مارس : واصلنا نفس العمل الذي بدأناه في اليوم السابق، وبعثنا بهدية للوزير ابن عثمان. وكانت كما يلي : صندوق به ألف قطعة نقدية، قطع من ثوب الحرير، وثوب من النوع الانجليزي، وقطع من الموسلين، وثوب هولاندي، والقهوة، وصندوق من الشاي، وآخر به قوالب السكر والشوكولاطة.

الاثنين 6 مارس : على الساعة الثانية ظهرا انتقلنا إلى حديقة [رياض] الحاج عبد الكريم بن يحيى، حيث كان يوجد أيضا الوزير الأول بن عثمان، لكي نتفاوض فيها معه، ونعرض عليه كل مطالب حكومتنا، بناء على أوامر الامبراطور، وفي هذا اللقاء استعرض القنصل كل المطالب حسب توجيهات دولتنا، ملحا أساسا على نقص الحبوب في المملكة، وهو السبب الذي أرغم سمو الأمير على أن يطلب من الامبراطور أن يمنحه مرسى خاصا بالدولة البرتغالية، وحرية التجارة بكل المراسي الأخرى، بما فيها مرسى أسفي والجديدة. وقد رد الوزير المذكور على كل هذا بأنه يرى أن من الأحسن تسليمه مطالبنا مكتوبة، لكي يقدمها للامبراطور، لأنه بهذه الطريقة يضمن ألا ينسى أي شيء ؛ ويرى أيضا أنه ليس من المناسب أن تتضمن المطلب المتعلق بالخيول، لأن السلطان لن يقبل ذلك، لأنه محرم في شريعته، ولأن الخيول ضرورية جدا لجيشه. وبعد انتهاء هذه المفاوضات خرجنا، وكتبت في الحال بالعربية كل المطالب على الشكل التالي :

> ظرف جميع الأغراض التي يطلب قونصو البرطقيز بأمر البرينسبي مولاه من فضل سيدنا أيده الله :
>
> أولا أن تكون رعية البرطقيز مقبولة مكرومة محفوظة في جميع بلاد سيدنا فلأجله يطلب من فضل سيدنا أن يبعث أمره الكريم لجميع خدامه في مراسيه السعيدة على ذلك ليفرحوا بها ويعاذبوا من يقارب لها بسوء أو مظلم.
>
> ثانيا أن يخص سيدنا رعيتنا بمرسى العرايش لتوسق منها الزرع وغير ذلك والوسق أيضا من غيرها كالأجناس الأخرى.
>
> ثالثا أن يسرح سيدنا لجنسنا الوسق من مرستين آسفي وطيط. وذلك كما سرح سيدنا الوسق منها لجنس الاصبنيول.

رابعا أن يبعث سيدنا أمره الكريم لجميع خدامه بمراسيه السعيدة ليعطوا لقراسيننا الفريشك[13] وجميع ما تحتاج إليها من ثيران وغنم وقطونية وبجماط ولحم مملح وغير ذلك بلا لازم ولا صاكة [14] وذلك كما كان في حياة سيدنا الكبير إلى الآن.

خامسا وسق البغال وصاكتها ثمانية ريال عن كل البغال[15] ووسق أيضا البقار وصاكتها ثلاثة ريا ل عن كل الراس واللازم لحاكم البلاد وهو وقيتان ونصف وقية عن كل الثور.

سادسا أن يبعث سيدنا أمره ليدفع لي الكاغيد الذي أعطى قونصو دينمارك مكتوب بخط يده لسيدنا ومولانا الطيب شاهدا فيه من أن المركب الذي قبض فيه الرايس ابن مبارك الأحد عشر ألف ريال خمسةماية ريال كان يسافر لآسفي وذلك كما ذكر لي حاكم الرباط في كتابه وكذا يقطع الكلام في ذلك[16].

الأربعاء *8* مارس : في الواحدة ظهرا قدم القائد المكلف بإسطبل الامبراطور القايد بوجمعة، مرفوقا بأربعة من الخدم، يقودون حصانا وهبه الامبراطور هدية للقنصل، وبغلة هدية لي.

في الثانية قدم أحد خدام الوزير ابن عثمان، ومعه أمر بالتحادث معنا، وهو ما نفذناه بسرعة، وبعد تبادلنا للتحية، بلغنا جواب عاهله على كل مطالب دولتنا، على الوجه التالي : فيما يتعلق بالنقطة الأولى والرابعة والسادسة، فقد وافق عليها جلالته بالشكل المقترح من القنصل، ومن أجل ذلك سيرسل حالا أوامره إلى كل حكام مراسيه، أما فيما يخص النقطة الثانية فقد وافق جلالته أيضا عليها بالشكل المقترح من القنصل ؛ على أساس التزام البرتغاليين بعدم الذهاب للتجارة في مراسي أسفي والجديدة، كما في المطلب الثالث، وأن جلالته ينبه القنصل إلى أن أي محاولة للاتجار سرا مع هذه المراسي، وبدون رضاه، يمكن أن تحرمهم من تخصيص مرسى العرائش لهم. ألح القنصل على هذه النقطة موضحا حاجة البرتغال إلى الحبوب، وأظهر له عددا من الأسباب التي تدفع البرتغال إلى الاتجار بهذه المراسي، وأن الحاجة وليس أي سبب آخر هي التي أرغمت البرتغال على طلب هذا الامتياز، وهذا بعد أن رأت تخويل هذا الامتياز للاسبانيين. وقد رد الوزير المذكور على هذا بأن الامبراطور يعرف جيدا مدى

الضرر الذي تحدثه كل التجارة التي تتم مع هذه المنطقة الثائرة، لأنها تدعم موقفها، وأنه سبق له أن سمح للإسبان بالاتجار معها، وأنه سيوقف هذا الامتياز للقضاء على عنادها. وبمجرد ما ينتهي الإسبان من وسق الحبوب التي لهم بالدار البيضاء، سيكلمهم بوضوح، ولا يهمه أي موقف يتخذونه. أما فيما يخص الصاكة، فإن جلالته أعطى أمرا بأن تدفع الدولة البرتغالية نفس الحقوق التي تدفعها الدولة الأكثر تفضيلا. وبما أن القنصل يعرف أن الامبراطور لا يسمح بإعفاء المواشي من الصاكة فقد طلب أن يتم على الأقل تخفيضها، وهو ما لم يحصل عليه بالشكل المطلوب، ولكن حصل فقط على حق أداء الحقوق التي تدفعها الدولة الأكثر تفضيلا.

في نفس الوقت طلب الوزير المذكور من القنصل باسم جلالته، أن يأخذ ست عشرة صرة من الذهب على شكل تبر، وأن يسلمها للأمير سيدنا لكي يسلم له مقابلها قيمتها من البارود ! وقد رد القنصل على ذلك بأنه لا يمكنه التحدث إلى سمو أميره حول موضوع كهذا في الظروف الحالية، لأنه يعرف بأن كل البارود الذي تنتجه المصانع ضروري لحاجيات الجيش والأسطول. لكن حينما رأى إلحاحه، مذكرا بما يمكن أن يحدثه جواب مثل هذا من غضب للسلطان، تعهد بالبحث من جهة ثانية - في حالة استحالة تلبية الطلب - عند بعض الوكلاء المتعاملين معه. في الليل وصل أمر من الوزير المذكوربأن نستعد في اليوم التالي لمقابلة جلالته وتوديعه.

الجمعة *10* مارس : في منتصف النهار وصلنا إلى فاس الجديد، وقد ظللنا لمدة ساعة بإزاء القصر في انتظار الملك، ووصل خادم ومعه أمر من جلالته بأن نتوجه إلى الحديقة المسماة بوجلود، التي توجد بين فاس الجديد وفاس البالي حيث يوجد جلالته في انتظارنا، وقد نفذنا الأمر. وعلى باب نفس الحديقة التقينا الوزير المذكور ومعه أعيان آخرون رافقونا حتى النهر الذي يجري في وسط الحديقة، وفوق هذا البناء دار صغيرة دخلنا إليها، وتم تقديمنا من طرف الوزير المذكور إلى السلطان، الذي كان جالسا بها. هذا العاهل استقبلنا بمظاهر الترحيب والفرح المعتادة، ودعانا إلى قرب مجلسه، وأكد لنا أنه على يقين من الإخلاص والصداقة التي كانت دائما مع سمو الأمير والشعب البرتغالي وهو الشيء الذي يدفعه إلى تقديرنا أكثر من أي كان، وأن رضاه الأكبر هو القدرة على تلبية كل ما يطلبه سمو الأمير. وقد رد القنصل على

ذلك بمظاهر الشكر، مهديا له في نفس المناسبة الخاتم الذي كان ضمن الهدية، وأخيرا عندما تأهب القنصل للاستئذان من جلالته، طلب منه أن يكتب إلى دولتنا بأن تبعث إليه بستانيا جيدا. في هذه المناسبة تكلم الوزير ابن عثمان بشكل غريب بالنسبة لنا، لأنه أطنب كثيرا في مدح الدولة الإسبانية، واحتج في حضورنا على سلطانه، لأن الدولة البرتغالية هي الوحيدة التي تحظى حقيقة بثنائه، ويقدرها أكثر.

الاثنين *13* **مارس :** في الظهر ذهبنا للاستئذان من الوزير ابن عثمان. عاد القنصل للكلام معه عن ميناء العرائش وعن الاتجار مع مراسي أسفي والجديدة، مركزا على نفس الأسباب التي تعطي لهذه المطالب أهميتها الكبرى بالنسبة للبرتغال. وقد أجاب الوزير المذكور على ذلك بأنه عرض كل ذلك من جديد على جلالته ؛ وأنه أجابه بنفس ما قاله لنا من قبل. بعد ذلك ذهبنا للاستئذان من الأمير مولاي عبد السلام، الذي وعدنا بأن يعطينا جواب الرسالة التي كتبها له سمو الأمير.

الثلاثاء *14* **مارس :** أرسل مولاي عبد السلام كاتبه بجوابه إلى سمو الأمير.

الأربعاء *15* **مارس :** في الساعة الثامنة صباحا تسلمنا جواب جلالته على رسالة سمو الأمير سيدنا ؛ ومعها أمر إلى الأمير مولاي الطيب، وإلى حكام كل الموانئ حول ما يكون عليه تعاملهم مع البرتغاليين. وفيما يلي نسخة من الرسالة التي كتبها لأخيه مولاي الطيب :

الحمد لله وحده

أخونا الأعز الأرضى مولاي الطيب رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد أنفذنا أمرنا المطاع بالله لمراسينا بأن يستوصوا خيرا بجنس البرطقيز ويراعوهم ولا يتركوا أحدا يوذيهم أو يظلموهم ومن تعدى على أحد منهم يعاقب كما أمرناهم بأن يسرحوا لقراسينهم كل ما يحتاجون إليه من بقر وغنم ولحم مملح وخبز وبجماط وخضر وساير أنواع الفريشك من غير لازم ولا صاكة كما كان لهم ذلك في حياة الوالد رحمه الله وكذلك صاكة البقر والبغال وغيرها من الموسوقات لا يلزم هذا الجنس فيها إلا ما يلزم غيره ولا يزاد عليه شيء ولا يفضل عليه غيره

والله تعالى يحرسك والسلام. في منتصف شهر رمضان من عام 1211 [موافق 14 مارس 1797].

* نسخة من الرسالة الموجهة إلى حاكم طنجة، والتي أرسلت نسخ مماثلة لها إلى كل حكام المراسي الأخرى :

الحمد لله وحده

خديمنا القايد محمد السلاوي سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد

فنامرك أن تستوصي خيرا بجنس البرطقيز وكل من يرد عليكم منهم فعاملوهم بأحسن المعاملات ولاحظوهم بالإحسان ولا تترك من يقربهم بسوء أو يطوف بساحتهم بمكروه ومن ظلم أحدا منهم أو تعدى عليه فأدبه وعاقبه بما يستحقه وكذلك قراسينهم يحملون كل ما يتوقفون عليه من بقر وغنم وخبز وبجماط وساير أنواع الفريشك من غير صاكة ولا لازم على ذلك كما كان لهم ذلك قديما حيات سيدنا رحمه الله والسلام، في حادي عشر رمضان عام 1211.

بمجرد تسلمنا لرسائل جلالته تأهبنا للرحيل، وفعلا خرجنا من تلك المدينة على الساعة الثانية ظهرا، من الباب المسمى بني مسافر. ولحظات بعذ ذلك بدأت الأمطار في التساقط، وفي الساعة السادسة مساء خيمنا في أحد المرتفعات بإزاء الجبل المسمى كَبْكَبْ، بدون أن تتوقف الأمطار التي استمرت في التهاطل طيلة تلك الليلة.

الخميس 16 مارس : على الساعة السادسة صباحا تابعنا رحلتنا في جو ممطر، وفي الواحدة والنصف ظهرا وصلنا إلى نهر سبو. وحاولنا عبوره لكن ذلك لم يكن ممكنا بسبب الأحمال الثقيلة، التي كانت تصحبنا، وبما أنه قيل لنا أن القارب، الموجود في أعلى النهر، مصاب بأعطاب، قررنا المبيت هناك، وإرجاء العبور إلى اليوم الموالي.

الجمعة 17 مارس : ارتفع مستوى الماء على حافة النهر، وعندما رأينا أننا لا نستطيع العبور خلال هذا اليوم كله، أرسلنا أحد الجنود لينظر الحالة التي يوجد عليها القارب، وحمل إلينا خبرا مفاده أن القارب محفوظ في مكانه، فقررنا الذهاب إليه في اليوم الموالي للعبور بواسطته، في حالة ما إذا

تعذر علينا عبوره من هذا المكان إلى غاية الغد.

بعد الظهر وصل أحد خدام السلطان ومعه حمولة من التمر هدية للقنصل. السبب الذي من أجله تبعنا ذلك الخادم، هو أن السلطان اعتقد أننا لازلنا لم نغادر المدينة، وحين أحيط علما بخروجنا، أمره بأن يلحق بنا بالهدية.

السبت *18* **مارس** : عندما رأينا أنه لا يمكننا عبور النهر من تلك الجهة، ذهبنا إلى المكان الذي قيل لنا أن القارب يوجد فيه، وفعلا وصلنا إلى هناك على الساعة الحادية عشرة صباحا، وبدأنا فورا في العبور، وبما أن القارب كان صغيرا، فإن عملية العبور لم تنته إلا في الساعة الثالثة بعد الظهر. وتابعنا مباشرة رحلتنا، ووصلنا في الخامسة عشية إلى المكان المسمى عين جعبة، في قبيلة أولاد عيسى، حيث بتنا.

الأحد *19* **مارس** : تابعنا رحلتنا في جو جميل على الساعة السادسة صباحا، وفي العاشرة وصلنا إلى ورغة، وبدأنا حالا في العبور على متن زورق ضعيف، مدعم بقضبان حديدية، وأكملنا العبور في الساعة الثانية ظهرا، وتابعنا رحلتنا، وخيمنا على الساعة الخامسة عشية بجانب نهر واد حمد الله، بقبيلة بني مالك.

الاثنين *20* **مارس** : تساقطت الأمطار خلال الليلة الماضية كلها واستمرت في التهاطل طوال اليوم بدون انقطاع، لدرجة أن أي مجرى مائي صغير تحول إلى نهر كبير، والبغال كانت تسقط في كل وقت. وفي الأخير، وصلنا إلى درجة لم يعد البلل فيها مقتصرا على ملابسنا التي على ظهورنا، ولكنه تسرب إلى الصناديق أيضا. وقد كان هذا حالنا حين وصلنا في الرابعة عشية إلى مكان السوق المسمى سوق الأحد، حيث خيمنا. وأمضينا به ليلة حالكة، تتخللها الأمطار والرياح، لدرجة أن الماء بلل بعض الأثواب التي كانت في رحلنا.

الثلاثاء *21* **مارس** : بما أنه كانت لدينا عدة أنهار يمكن العبور منها، وتيقنا من أنها غير صالحة للعبور، قررنا الذهاب، إلى نقطة عميقة من نهر واد الطين]، يستلزم الذهاب إليها القيام بدورة، ووصلنا إليها في العاشرة صباحا، ومنها أخذنا نبحث عن معبر ممكن من النهر. وفي الرابعة عشية وصلنا إلى نهر صغير، لكنه مع ذلك كان مليئا، بالقرب من السوق المسمى أربعا عيسى بن

حسن، حيث خيمنا بقربه لتعذر العبور منه.

الأربعاء 22 **مارس** : خرجنا من هنا في الساعة السادسة والنصف صباحا، وفي الثانية والنصف ظهرا، وصلنا إلى نهر القصر. وانتهينا من عبوره في الخامسة عشية، وتوجهنا وسط الحدائق الجميلة التي تحيط بهذه المدينة. ودخلنا بعد ذلك إلى المدينة، التي كانت في الحقيقة جد متسخة، بحيث إن الأوحال في أزقتها كانت تصل إلى بطون البغال، وقد خيمنا في الجهة الثانية من المدينة، في المكان المسمى النزهة.

الخميس 23 **مارس** : في الصباح بدأت بكتابة رسالة إلى الأمير مولاي الطيب، ومعها بعثت إليه أمر جلالته حول الدولة البرتغالية. وفي منتصف النهار تابعنا رحلتنا، وفي الخامسة عشية وصلنا إلى نهر واد مخازن، الذي يطلق اسمه على المعركة التي مات فيها الملك الدون سبستيان.

الجمعة 24 **مارس** : ركبنا في جو جميل في الخامسة صباحا، وخرجنا مرفوقين فقط بجندي واحد، وهدفنا الوصول في نفس اليوم إلى طنجة، وهو ما تم فعلا، لكن بالكثير من العناء والتعب، لأننا واصلنا السفر بدون توقف إلى الساعة السابعة مساء.

السبت 25 **مارس** : وصل أخيرا الوفد المرافق لنا إلى طنجة على الساعة السادسة مساء.

الثلاثاء 28 **مارس** : وصل جواب الأمير مولاي الطيب على الرسالة التي كتبتها له من القصر، ومعها جوابه على رسالة سمو الأمير سيدنا، وقد أجبنا عنها فورا طالبين منه أن يسلمنا الشهادة التي سلمها له قنصل الدانمارك، حول السفينة التي كانت متجهة إلى آسفي، وبها أحد عشر ألفا وخمسمائة [دورو].

الأربعاء 12 **أبريل** : بعد الظهر أبحرت على متن السفينة الملكية (Oserbe) ، ووصلت سالما إلى لشبونة يوم 21 من نفس الشهر.

هوامش المقدمة

(1) Fr. Joze de Santo Antonio Moura

(2) هو راهب فرانسيسكاني برتغالي، عاش ما بين 1770 ، 1840. سبقت له زيارة المغرب قبل هذه السفارة، وشغل عدة وظائف، فقد كان وزيرا، وموظفا بالخارجية البرتغالية، ومترجما رسميا، وأستاذا للغة العربية، وعضوا بالأكاديمية الملكية للعلوم بلشبونة. وترجم عدة كتب من العربية إلى البرتغالية، من بينها : تاريخ الملوك المسلمين للدول الأربع الأولى وقسم من الدولة الخامسة، الذين حكموا بموريطانيا، الذي ألفه أبو محمد السابح، الغرناطي الأصل ونشر سنة 1828. كما ترجم رحلة ابن بطوطة، وصدرت في جزئين، الأول سنة 1840 ، والثاني بعد وفاته سنة 1855. ولازالت العديد من أعماله مخطوطة بأكاديمية العلوم بلشبونة. توجد ترجمته في: Grande Enciclopedia Portuguesa e Braseleira (XVI) p. 19

(3) جورج بدرو كولاصو : خلف أباه في منصب القنصلية سنة 1783، ثم عين قنصلا عاما مباشرة بعد هذه السفارة، وظل في منصبه إلى سنة 1816.

(4) سبق للبرتغال أن أرسلت سفارات إلى المغرب ومعها هدايا إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله في سنوات 73 ، 74 ، 77 ، 1780، وإلى مولاي اليزيد سنة 1790.

(5) نجد تفاصيل هذه الهدية عند الفشتالي في مناهل الصفا، صفحة 50، وعند اليفراني في نزهة الحادي صفحة 82.

(6) تقرير خاص إلى وزارة الخارجية البرتغالية، موجود في ملف مستقل، مكتبة طوري دي طومبو، تحت رقم : MNE. CX : 301

(7) إذا نظرنا إلى الحجم مثلا، نجد أن عدد الصناديق في هذه الهدية وصل إلى 55 صندوقا. وبالمقارنة مع الهدايا السابقة، التي يتحدث عنها التقرير في الهامش أعلاه، نجد أن عدد صناديق الهدية المقدمة إلى مولاي اليزيد سنة 1790 بلغ 48 صندوقا. أما في عهد سيدي محمد بن عبد الله قبله، فإن عدد الصناديق في السفارات الأربع المذكورة في الهامش 4، تتراوح بين 10 و 19 صندوقا.

(8) وسق البرتغاليون سنة 1797، 500 فانيغا من القمح من مرسى العرائش وحده، وكذلك البغال واللحم المملح، حيث بلغ ما ذبح في سنة واحدة 400 بقرة. أما البرتغال فقد بعثت أزيد من 93 قنطارا من البارود إلى المغرب. انظر مراسلات القنصل البرتغالي بطنجة طوري دي طومبو، رقم MNE . CX 299

(9) التقرير المذكور في الهامش رقم 6.

(10) يظهر أنهم جاؤوا بناء على طلب من السلطان المغربي، الذي طلب أيضا من القنصل استقدام بستاني من البرتغال لخدمته. ورغم أن التقرير يتحدث عن سفارة 1798، فإننا نرجح أن تركيبته لا تختلف كثيرا عن تركيبة الوفد الذي قدم سنة 1797.

(11) عن الراهب دي كونتريراس أنظر :
Robert Ricard, Les deux voyages du P. Contreras ..., Hesperis, 1934, pp. 39 - 44.
وانظر أيضا : Le Tourneau (R), Notes sur les lettres latines ..., Hesperis, 1934, pp. 45 - 63.

(12) راهب برتغالي بعثته دولته للتعمق في دراسة اللغة العربية، ومكث بطنجة مدة طويلة وعاصر حادثة الهجوم الفرنسي على طنجة سنة 1844.

هوامش النص

(1) الملكة البرتغالية المقصودة هي ماريا الأولى، ولدت سنة 1734، وتولت سنة 1777، بعد وفاة الدون جوزي، وتوفيت سنة 1816.

(2) يستعمل صاحب اليوميات كلمة الامبراطور التي ارتأينا تعريبها بلفظ السلطان.

(3) تعريب لكلمة Fregate

(4) Luis da Mota Feo

(5) Fr. Manoel da Silva Rebelo

(6) توجد المراسلات بنصها العربي، ثم مترجمة إلى اللغة البرتغالية، وبخط يد المترجم.

(7) تعريب لكلمة Corte وتعني الحكومة أو البلاط.

(8) البرينسيبي : الأمير، والمقصود هنا هو الأمير دون جواو الذي أمسك بزمام الحكم سنة 1792، وخلع الدونا ماريا الأولى سنة 1799.

(9) الفرايلي : الراهب.

(10) يقصد ربع ساعة.

(11) José Anselmo de Macedo

(12) قد يكون حد كورت.

(13) القراسين : السفن الحربية. والفريشك : ما يقدم كمؤونة للسفن.

(14) القطونية : القطاني والخضر، والبجماط : البيسكوت، والصاكة : ما يدفع من رسوم على الصادرات.

(15) يقصد عن كل بغل.

(16) أي ينهي الموضوع تماما.